سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ

مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم

(16) صناعة الفقه:

الأصولية الجعفرية والاجتهاد المؤطر بالأسطورة الهمجية

الحلقة السادسة عشرة

7.1) كيف نشأ القول بالاجتهاد في المذهب الجعفري ؟

إن **أول** من أُثِر عنه القــول ب **القيـاس** عنــد **الإحدى عشرية**، أي: أوائــل **الملعونين في المذهب** !!! ، حسب الرواية التي اخترقوهــا علــى لــسان **جعفر الصادق**، وهو منها براء!، رجلان من القرن الرابع الهجري، وهما:

أ) **الحسن بن علي بن أبي عقيل العمّاني** المعاصر لمحدث الإحــدى عشرية الشهير **محمد بن يعقوب الكليني** (ت: 329 هــ)،

ب) **ومحمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي** (ت: 381 هــ).

والأول قال عنه السيد **محمد مهدي بحر العلوم بن مرتضى بن محمد الطباطبائي النجفي** (ت: 1212 هــ/1797 م)[1]:

هو أول من هذب الفقه، **واستعمل النظر** !!! ، **وفتق البحث عن الأصول والفروع! في ابتداء الغيبة الكبرى** !!!!!!!!!!!! .

ثم، أضاف:

[1] أنظر: "رجال السيد بحر العلوم" أو "الفوائد الرجالية"). (2: 220)، بعناية محمد صادق بحر العلوم، ط. أولى 1385 هـ، النجف.

إن حال هذا الشيخ الجليل في الثقة !!! والعلم والفضل والكلام والفقه، أظهر من أن يحتاج إلى بيان. وللأصحاب مزيد اعتناء بنقل أقواله وضبط فتاواه، خصوصاً الفاضلين[2] ومن تأخر عنهما.

أو قول محمد باقر الخوانساري فيه[3]:

إن هذا الشيخ هو الذي ينسب إليه إبداع !!! أساس النظر في الأدلة وطريق الجمع بين مدارك الأحكام والاجتهاد.

والثاني: محمد بن أحمد بن الجنيد هو مؤلف كتاب: "الأحمدي في الفقه المحمدي"[4]، وكتاب: "كشف التمويه والإلباس على أغمار الشيعة في أمر القياس"، وكتاب: "ما ستر أهل العناد من الرواية على العترة في أمر الاجتهاد".

قلت:

---

[2] يعني بهما : نجم الدين، أبو القاسم، جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسين الشهير بلقب "المحقق" الحلي (602هـ/1205 م - 676 هـ/1277 م)، وجمال الدين، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (648 هـ/1250 م - 726 هـ/1325 م) ويعرف بلقب "العلامة" وهما من حلة العراق.

[3] أنظر الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري في: "روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات"(2: 259) طبعة طهران لسنة 1930 م.

[4] وهو اختصار لكتابه: "تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة".

وقد احتفظ لنا تلميذ الأخير، الشيخ **أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العُكْبَري الحارثي** المعروف عند الفرقة بلقبي: **الشيخ المفيد**، و**ابن المعلم** (336 هـ - 413 هـ) في كتابه: "**المسائل الصاغانية**"، بواقعة تشهد على هذا المنحى من خلال نقد وجهه **أحد شيوخ السنة** إلى **ابن الجنيد** عندما قدم الأخير إلى مدينة نيسابور سنة 340 هـ، وناظره الشيخ السني في القياس، ليحكم عليه السني **بضعف بضاعته** فيه![5].

قلت:

وقد انبرى **المفيد**، وهو الإخباري الجلد، **النابذ لكل قياس** أو **اجتهاد**، للرد على طعن ذلك المنتقد السني، الذي لم يفصح لنا عن اسمه، بل جمع معه في النقد، شيخه نفسه لعمله ب**القياس**!.

قال الشيخ **المفيد**[6]:

فأما قوله (يعني به ابن الجنيد) بالقياس في الأحكام الشرعية واختياره مذاهب لأبي حنيفة وغيره من فقهاء العامة (يعني بهم السنة) لم يأت بها أثر عن الصادقين (ع) فقد كنا ننكره عليه غاية الإنكار. ولذلك أهمل جماعة من أصحابنا أمره وأطرحوه ولم يلتفت أحدهم إلى مصنف له ولا كلام!.

---

[5] أنظر الشيخ المفيد: "المسائل الصاغانية" ص. 56. ضمن مجموع "بحار الأنوار الجامعة لعلوم الأئمة الأطهار"، لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت: 1110 هـ)، طبعة إيران.

[6] نفس المرجع ص. 59.

قلت:

بل ألــف **الشيخ المفيد** "**كتاب النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي**"[7]. وهو ما سيتردد على لــسان تلميــذ **الشيخ المفيد**: **أحمد بن علي بن العباس النجاشي** (ت: 450 هــ)، في كتاب "**الرجال**".

فبعد أن سجل لابن الجنيد من بين مصنفاته كتــاب: "**كشف التمويه والإلباس على أغمار الشيعة في أمر القياس**" قال:[8]

سمعت شيوخنا الثقات !!! يقولون عنه أنه كان يقول بالقياس

وهو قول تلميذ المفيد الآخر، وشيخ الطائفة في عــصره، **الشيخ محمد بن الحسن الطوسي** (ت: 460 هــ)[9]:

كان (ابن الجنيد) جيد التصنيف حسنه إلا أنه كان يرى القول بالقياس، فتركت لذلك كتبه ولم يعول عليها.

---

[7] أنظر النجاشي في ترجمة شيخه المفيد في كتاب "الرجال" ص. 402، الترجمة رقم 1067.

[8] أنظر: "رجال النجاشي" ص. 387-388.

[9] الطوسي: "الفهرست" ص. 134.

قلت:

أي: **أنه ثاني الملعونين في الفرقة**!!! حسب تخـــريج الأخباريـــة الإحـــدى عشرية للأخبار!.

وغاية ما في الأمر، هي أن المنطلق الذي انطلق منه كل من **ابن أبي عقيل وابن الجنيد**، لم يكن بمعزل عما كانت تتطلبه المرحلة، من حتمية الخروج من **مأزق الجمود**، الذي وجدت **الإحدى عشرية** نفسها فيه، إثر موت الإمام العسكري.

الموت الذي جعل المذهب يفتقر إلـــى المرجعيـــة الحيـــة **المولدة للأخبار عند الطلب** كمصدر للفتيا.

بل سيشاركهما في الحوم حول حمى هذا **المحظور النظري للمذهب**، وإن مـــن منطلق مخـــالف، الإخبـــاري: **أبو الحسين علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي** (ت: 329 هـــ)، حتى أنهم سيعرفون ثلاثتهم عند متأخري الشيعة **الإحدى عشرية** بـ**الفقهاء أصحاب الفتاوى**!!!

قلت:

ولا يخفى على اللبيب ان هذا العرف الجديد، مخالف كل المخالفة للعرف القديم وإلى وفاة **المفيد**، مع بداية العقد الثاني من القرن الخامس الهجري، الذي ظل يصنفهم ضـــمن **زمرة**

الملعونين، كما سيأتي من وصفهم عند الشيخ **أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي** (ت: 676 هـ) الشهير بلقب "**المحقق**!!!" في كتاب "**المعتبر**" حيث قال[10]:

اجتزأت بإيراد كلام من اشتهر فضله وعرف تقدمه في نقل الأخبار وصحة الاختيار وجودة الاعتبار، **واقتصرت من كتب هؤلاء الأفاضل على ما بان فيه اجتهادهم وعُرف به اهتمامهم وعليه اعتمادهم** (...)

ومن أصحاب كتب الفتاوى: **علي بن بابويه، وأبي علي بن جنيد، والحسن بن أبي عقيل العمّاني والمفيد**،..

قلت:

وقد جمع **الحلي** هنا، بينهم وبين المفيد نفسه!، بالرغم من كون **الشيخ المفيد**، ومن خلال ما تقدم من نقده لشيخه **ابن الجنيد**، **لم يكن يسمح بشيء اسمه الاجتهاد ولا القياس ولا التعليل في النوازل الطارئة أو المستجدة، وإنما يكتفي بنصوص الأئمة السابقين دون التعدية بها إلى ما وراءها!.**

ولم يستطع هذا الموقف المبدئي من **القياس**، أن يثمر فقهاً عملياً ذا كفاية عند **الإحدى عشرية**، ما استطاع أن يثمر عند **الظاهرية**، بدون الفرضية **الخرافية**

[10] أبو القاسم الحلي: "المعتبر في شرح المختصر" ص. 7، طبعة إيران لسنة 1371 هـ.

المهدوية المقحمة على حاكمية النصوص، كما وجدنا عند عنـد **الإمـام أبـي محمـد:**

ابن حزم الأندلسي (384 هـ/994 م – 456 هـ/1064 م)

، من حيث **الكفاية النظرية والإغلاق التام** في الاجتهاد، باعتماد **النصوص الثابتة** مـن قرآن وسنة، والاقتصار عليهما فقط، في تخريج وتنزيل كل الحوادث والمستجدات المـستقبلية، باجتهاد المجتهد وتقيده الصارم بهذا الإطار، على ما استقرأنا مـن منهجـه فـي تقويميتـه

[11].

قلت:

وكان لا بد لمثل هذا التيار الناشئ على حواف وهوامش المذهب، كي يبرر لمثـل هـذا **الانزياح النظري** الطارئ على الخط الأخباري العـام إلـى نقيـضه، **أن يستحدث لنفسه شرعية خبرية توطئ لمثل هذا المنحى النقيض الجديد**!!!،

[11] أنظر كتابنا ضمن هذه السلسلة التقويمية: "صناعة الفقه: التقويمية الظاهرية".

على ما اعتادت الإخبارية قبلهم، وذلك باللجوء إلى ما كانت تلجأ إليه الأخيرة، بدون تردد، في مثل هذه المدلهمات، أي إلى الصناعة الخبرية التوليدية عند افتقاد النصوص المؤصلة !!! .

وهو ما لن يطول انتظاره كثيراً، حيث سيتكرس ذلك عملياً في خبر سيلزقون روايته بكل من:

أ) زرارة بن أعين[12]

ب) وأبي بصير ليث بن البختري المرادي [13]

مع أن كلاهما متهم في الرواية![14]، يرفعانه إلـــى أبي جعفر محمد الباقر (ت: 114 هــ) وابنه أبي عبد الله جعفر الصادق (ت: 148 هــ) يقولانهما عكس مـــا كان قولهما من قبل: التنظير التوليدي الإخباري القديم:

إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول !!! وعليكم أن تفرعوا !!!!!!

وسيروي مثله المضعف الآخر: هشام بن سالم الجواليقي[15] عـــن أبي الحسن موسى الكاظم (ت: 183 هــ)[16]:

---

[12] وهو مكثر يروي المئات من الروايات عن الباقر وجعفر الصادق. وقد لعنه جعفر الصادق. أنظر "رجال الكشي" في ترجمته.

[13] وهو ممن يطعن ويلمز في جعفر الصادق وطلب الإذن مرة للدخول على الصادق فلم يأذن له. أنظر تجمته في رجال الكشي.

[14] أنظر: "عوالي اللآلئ" (4: 17/63)، ضمن "مجموع "بحار الأنوار" للمجلسي.

[15] أنظر ترجمته في رجال الكشي. الجزء الرابع ص. 284 وعنده أن الله أجوف!

[16] أنظر: مستطرفات السرائر" ص. 575.

علينا إلقاء الأصول !!!إليكم وعليكم التفريع !!!!!!

قلت:

ولنا أن نسأل: هل كان يخرج عمل **الفقهاء السنة** و**الزيدية**، من أصحاب الاجتهاد في **التفريع** من **الأصول** عن هذا أصلاً!؟.

ويستطيع المرء، أن يتتبع الإرهاصات الأولى لمثل هذه **الانقلابية المفهومية في التنظير**، من خلال سيرة أحد أبرز وجوه تلك الحقبة التاريخية وهو:

الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت: 329 هـ)[17] الشهير بلقب: **الصدوق (وهو كذوب)** !!!، والذي عاصر فترة ما اصطلح **مخرفة الجعفرية** على تسميتها بفترة: "**الغيبة الصغرى**" !!!!!!، حيث يقولون بأن المولود الذي لم يولد قط للحسن العسكري، اختفى عن الأنظار، لكن ظل على اتصال بالأتباع، من خلال نواب وسفراء يعملون كوسطاء بينه وبينهم، من بدايتها سنة **260 هـ** إلى نهايتها سنة **329 هـ** وهي سنة وفاته.

---

[17] وهو أب الشيخ الصدوق! ويحكون عنه أنه لم يكن يرزق الولد وأنه كاتب الحسين بن روح النائب الثالث للمهدي العنقاء! أن يوصل له رقعة يسأله فيها الولد فجاءه الرد من الذي لم يوجد قط! يقول: {قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين خيرين!} أنظر "الرجال" للنجاشي ص. 261، الترجمة رقم 684، وكذلك الشيخ الطوسي: "كتاب الغيبة" ص. 187-188 وص. 194،، مطبعة النعمان، النجف، طبعة سنة 1385، وكذلك عند الصدوق في كتاب: "إكمال الدين وإتمام النعمة"، الطبعة الحيدرية النجفية بتقديم السيد المهدي الخرساني، ص. 502.

بل، إن **ابن بابويه** عاصر كل **النواب الأربعة**!!!!!!، عن **الخرافة المهدوية**، التي اختفت عن الأنظار، بحسب تخريفهم السمج، بسر من رآى.

ويعتبر هؤلاء النواب الأربعة الكتاب الحقيقيون والمخرجون الفنيون لسيناريو الحبكة الأسطورية المهدوية في كل تفاصيلها الدرامية والفكاهية!، وإن لم يؤثر عن **الصدوق** (**الكذوب**) التقاؤه الفعلي سوى بالنائبين: **الثالث** و**الرابع**.

قلت:

وأول بادرة على **طريق التوطئة النظرية لهذا المنحى الانقلابي**، ستتمثل في **اختلاق فرية** لم يسبقهم بها أحد من العالمين!، بل تكاد تتفطر لها **السموات** وتنهد لها **الجبال** هداً!، وهي **ادعاء صدور توقيعات رسمية** من طرف **المهدي الافتراضي اللامنتظر**

هذا!.

و**الفكرة** وإن كانت جنونية، من حيث المبدأ والواقع، ولا هي مما يتفق أو ينسجم مع مفهوم ومضمون **ختم الرسالة المحمدية**، إلا أنها ستنطلي، وبحكم الموروث التاريخي للمنطقة ذاتها، على **عقول** ذلك الجيل وأجيال بعده، حتى أن المرء ليتساءل بذهول: هل

للألقاب من شـــاكلة: **الآيـات!!!**، و**الحجـج!!!**، و**العلمـاء المحققين!!!** مــن **تنزيل** أو **معنى!!!!!!**[18].

انتهى وتليه الحلقة 17

توقيعات صادرة من طرف العنقاء لعموم الجعفرية

[18] إذ كيف يعقل أن ينطلي عليهم، ما ينطلي اليوم على الأطفال الصغار في الغرب، من التصديق بوجود شخصية "البابا نويل" أو "سانتا كلاوس" الحامل للهدايا التي يلقيها إليهم من خلال مداخن بيوتهم وهم نيام!، على ما جرت به الآلة الدعائية التجارية الاستهلاكية المعاصرة، بما تملك من وسائل إعلامية إيحائية، في ترسيخ مثل هذه الأساطير في عقول وأذهان الناشئة، حتى ليصعب عليهم التخلص منها من كثرة النفث، كما هو مشاهد مع أعياد كل رأس سنة مسيحية!.